

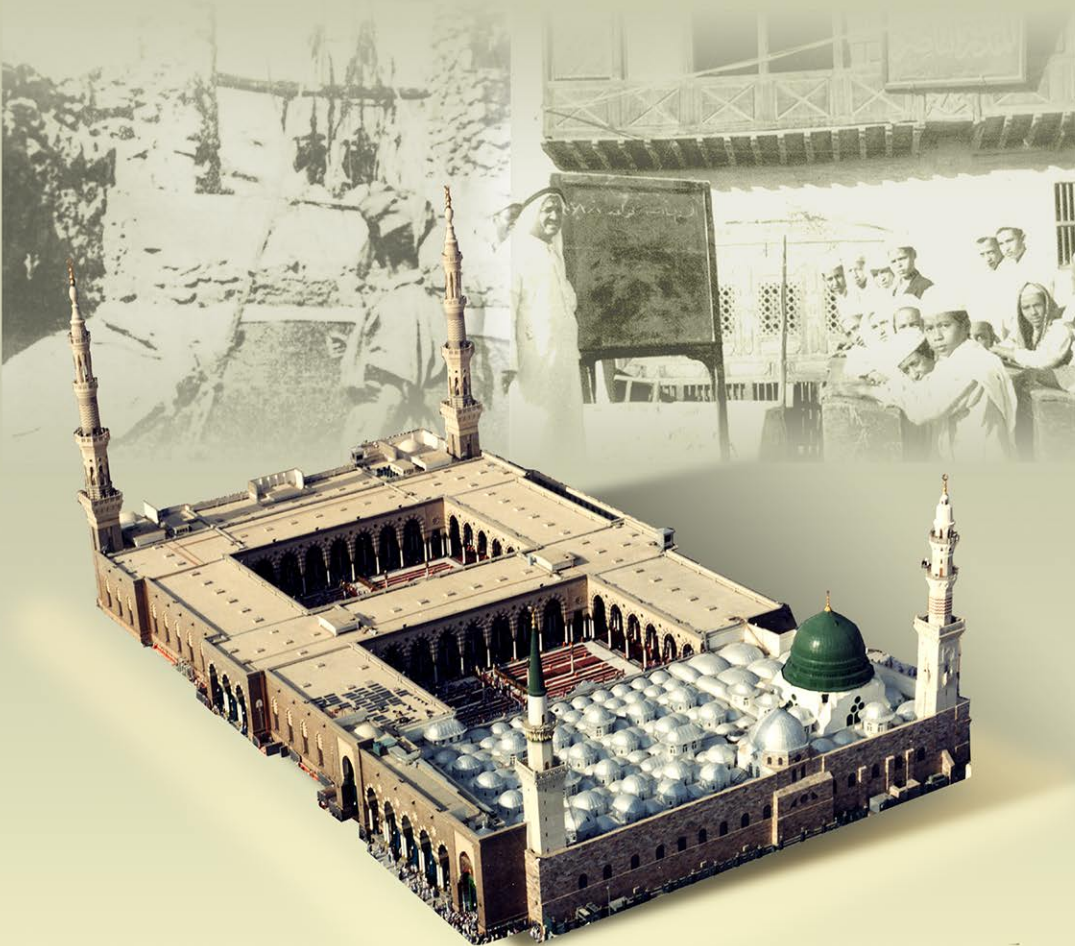
# المدينة المنورة



العدد السادس والثلاثون / محرم - ربيع الأول ١٤٣٢ هـ، يناير - مارس ٢٠١١ م

- الخصائص الطبيعية للمدينة المنورة وأثرها في أحداث غزوة الأحزاب
- آيات النبي صلى الله عليه وسلم
- الإنجازات الحضارية في المدينة المنورة في عهد الملك سعود .  
الزراعة والمياه نموذجاً
- مدخل إلى الخصائص النبوية

٣٦



# وجوه من الإعجاز العلمي في أحكام الحج المتعلقة بالطهارة والنظافة ومحظورات الإحرام

د. عبد البديع حمزة زلي  
أستاذ علم التلوث والتسمم البيئي المشارك  
جامعة طيبة - المدينة المنورة

لم يقف الإنسان على مسببات الأمراض بدقة متناهية إلا في عصرنا الحديث، ولم يكن ذلك إلا بعد اختراع المجاهر (الميكروسكوبات) وتطورها، واختراع آليات الفحص والكشف بمختلف أنواعها وأغراضها، وتتطور أجهزة التحليل الكيميائي تطوراً عظيماً، فعملت هذه الآليات والأجهزة على اكتشاف الكائنات الحية الدقيقة من الفيروسات والبكتيريا والفطريات والطحالب، والتي لم يكن يعرف الإنسان عنها شيئاً قبل اختراع هذه الأجهزة، فتوسعت إثر هذه الاختراعات العلوم المختلفة وعلوم مسببات الأمراض توسعاً هائلاً لم يعرف التاريخ مثله، وعرف الإنسان أن كثيراً من الأمراض قد يصاب بها عن طريق التلوث بأنواع من الكائنات الحية الدقيقة؛ نتيجة بعده عن النظافة في أمور حياته اليومية، وأدرك العلماء أن عدم نظافة البدن والطعام والشراب واللباس والمكان قد كان سبباً مباشراً في نشر كثير من الأمراض الوبائية الخطيرة، الأمر الذي دعا إلى إنشاء هيئات ومنظمات عالمية وحكومية ومحلية للهيمنة على المشكلات التي تنتج من سوء النظافة؛ لتتولى هذه الجهات حماية الناس ووقايتهم من الإصابة بالأمراض المعدية، حيث وضعت هذه الجهات المعايير المطلوبة في العديد من الميادين التي لها علاقة بصحة

البشر، وساعدت في الإجراءات التشخيصية لهذه الأمراض، وعملت على حماية الصحة البيئية على نطاق العالم كله.

وقد يتعجب غير المسلمين عندما يعلموا أن أحكام الإسلام وتشريعاته قد أكدت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً على أهمية طهارة ونظافة جسم الإنسان، فتشريعات الإسلام قد أوجبت الطهارة والنظافة في جميع أمور حياة الإنسان المسلم.

ولم تكن هناك تشريعات وأحكام تتعلق بأمور الطهارة والنظافة تجعل الإنسان يسعى إليها في السر والعلانية مثل ما جاءت به تشريعات وأحكام الإسلام، التي تأمر المسلم أن يطبقها في جميع الأحوال، فالطهارة شرط من شروط صحة الصلاة.

ويكفي أن نشير إلى أن رب العالمين ومنذ بداية نزول الوحي على الرسول الكريم قد أمرنا أن نحقق أمور الطهارة والنظافة، فقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم لنبيه ﷺ: ﴿وَتَبَاكَ فَطَهَّرْ﴾<sup>(١)</sup>. ومن معجزات القرآن الكريم أنه من جوامع الكلم، ولو تمعنا في أمره سبحانه وتعالى بطهارة الثياب لرأينا أن جوامع الكلم المتعلقة بأمور الطهارة والنظافة تتجلى بوضوح تام في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَبَاكَ فَطَهَّرْ﴾، فالإنسان غالباً لا يمكنه أن يحقق طهارة ثيابه ما لم يحققها في كل شيء حوله. ومن هذا المنطلق ترى المسلم يحرص كل الحرص على طهارة ونظافة بدنه ومسكنه، والمكان الذي يصلي فيه. إذ إن الإسلام قد اعتنى بالطهارة والنظافة عناية فائقة، وأمر بها المسلمين، وأمر أن يأخذوا بجميع الوسائل التي تحققها.

(١) (سورة المدثر، آية ٤).

وقد يلاحظ القارئ أن الحديث يشير إلى لفظتي الطهارة والنظافة، وهنا قد يتساءل أحدنا:

هل هناك فرق في مضمون اللفظتين؟، وهل هناك فرق في الحكم الشرعي في ما يتعلق بهما؟، وإذا كان كذلك فما الحكمة في هذا الأمر؟، وما وجه الإعجاز العلمي في ذلك؟.

ولن تصبح صورة هذه الأمور واضحة ما لم نلق الضوء على هذين المفهومين.

### مفهوم الطهارة

ذكر الإمام ابن منظور<sup>(١)</sup> رحمه الله أن الطهر نقيض النجاسة، والطهارة اسم يقوم مقام التطهر بالماء كالاستنجاء والوضوء. وذكر الإمام ابن قدامة<sup>(٢)</sup> رحمه الله أن الطهارة في اللغة هي الوضوء والنزاهة من الأقدار، وهي في الشرع رفع ما يمنع الصلاة من حدث أو نجاسة بالماء، أو رفع حكمه بالتربة أو غيرها. ويشمل معنى الطهارة مضامين أخرى تتمثل في الآتي:

#### طهارة حسية:

- طهارة حقيقة كطهارة البدن والثوب والمكان.
- طهارة حكمية كالوضوء والغسل من الجنابة.

#### طهارة معنوية:

- التطهر من عبادة الأصنام والأوثان.

(١) ابن منظور الأفيريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٦٣٠ - ٧١١هـ). لسان العرب. ط١،

بيروت، دار صادر، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م. مادة طهر، ٤/٥٠٤-٥٠٦.

(٢) ابن قدامة. المغني. ط١. بيروت: دار الفكر ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. ٣٤/١.

- التطهر من قول الزور، والتتزه والكف عن الإثم وما لا يُجمل.
- تطهر المال بالزكاة.
- الطهارة من الفاحشة و الزنا.

### مفهوم النظافة

النظافة نقيض القذارة. ذكر الإمام ابن منظور رحمه الله<sup>(١)</sup> أن النظافة هي النقاوة، ونظفَه ينظفه تنظيماً أي نقاه، ثم ذكر وفي الحديث: إن الله نظيف يحب النظافة. قال ابن الأثير: نظافة الله كناية عن تنزهه من سمات الحدث وتعالیه في ذاته عن النقص، وحبه النظافة من غيره كناية عن خلوص العقيدة ونفي الشرك ومجانبة الأهواء، ثم نظافة القلب عن الغل والحقد والحسد وأمثالها، ثم نظافة المطعم والملبس عن الحرام والشبه، ثم نظافة الظاهر بملازمة العبادات. ومنه الحديث: نظفوا أفواهكم فإنها طرق القرآن أي صونوها عن اللغو والفحش والغيبة والنميمة والكذب وأمثالها، وعن أكل الحرام والقاذورات، والحث على تطهيرها من النجاسات.

### ما الفرق بين مفهوم الطهارة والنظافة؟

قد يبدو ظاهرياً أن مفهوم الطهارة يتساوى تماماً مع مفهوم النظافة، لكن ذلك غير صحيح في أحوال معينة، فليس كل لباس أو مكان تعتريه القذارة والأوساخ لا تصح الصلاة به أو فيه، وليس كل لباس أو مكان يبدو ظاهرياً حسناً نظيفاً تصح الصلاة به أو فيه. ونجد أن أحكام الإسلام تبيح للمسلم أن يصلي باللباس أو في المكان الذي أصابته بعض الملوثات والأقذار الطاهرة، ولا تبيح الصلاة بالثوب أو في المكان الذي يبدو حسناً

(١) لسان العرب، ابن منظور. مادة نظف. ٣٣٦/٩.

نظيفاً إذا أصابته النجاسة. فليس كل طاهر نظيف وليس كل نظيف طاهر.

وبذلك قضت أحكام الإسلام أن الصلاة لا تصح بالثياب أو في الأماكن إذا تلوّثت بملوثات نجسة، لكنها تصح إذا تلوّثت بملوثات غير نجسة.

### الأذى يكمن في الملوثات النجسة والملوثات غير النجسة

لقد اكتشف العلماء بواسطة أجهزة الكشف والتحليل المتطورة أن جميع الملوثات النجسة والملوثات غير النجسة تحتوي على ما يسبب الأذى والضرر، وأن التعرض لهذين النوعين من الملوثات، وعلى وجه الخصوص عندما تدخل في الجسم عن طريق الطعام أو الشراب، أو حتى عن طريق الجلد قد تسبب له أذى وضرراً محتملاً حسب طبيعة وخاصية الملوّث. وطالما أن كل منهما يسبب الأذى والضرر فإن ذلك قد يثير التساؤلات عن الحكمة في عدم صحة الصلاة بالثياب أو في الأماكن إذا تلوّثت بالملوثات النجسة، وصحتها بالملوثات غير النجسة؟، فكلاهما يضر ويؤذي. ولكي نقف على حقيقة هذا الأمر ينبغي علينا أن نعرف أولاً ما هو مفهوم النجاسة والملوثات النجسة؟، وما هو مفهوم الملوثات غير النجسة؟.

### مفهوم النجاسة والملوثات النجسة

ذكر الإمام ابن منظور رحمه الله<sup>(١)</sup> أن النَجْس والنَّجَس والنَّجَس هو القذر من الناس، ومن كل شيء قدرته، وذكر الشيخ السيد سابق حفظه الله<sup>(٢)</sup> أن النجاسة هي القذارة التي يجب على المسلم أن يتنزّه عنها ويغسل

(١) لسان العرب، مادة نجس. ٢٢٦/٦.

(٢) السيد سابق. فقه السنة. طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م. ٢٢/١-٢٨.

ما أصابه منها. وتتمثل في أنواع مختلفة ومنها ما يلي

- الخارج من السبيلين كالبول والغائط.
- الميئة عدا ميئة البحر.
- الدم سواء كان دماً مسفوحاً-مصبوباً- كالدم الذي يجري من المذبوح، أم دم الحيض.

ونقصد بالملوثات النجسة تلك المواد الطاهرة السائلة أو الصلبة - كالماء والشراب والزيوت والطعام - التي تلوثت بعين النجاسة، وأصبحت بحكمها الشرعي نجسة؛ إذ يختلف الحكم في هذه الأشياء حسب نوعيتها وكميتها، وحسب قدر النجاسة التي أصابتها.

#### تعريف الملوثات غير النجسة

هي القاذورات الطاهرة التي لم تصبها النجاسة والتي قد تتلوث بها الثياب والسجاد والأماكن ونحوه ومثله كالطين والعجين والسجم<sup>(١)</sup> وغيره.

#### المشكلات الصحية من الملوثات النجسة

من أهم النجاسات المعروفة هي الفضلات التي تخرج من السبيلين والمتمثلة في البول والغائط. وقد دلت نتائج الدراسات أن هذه الفضلات تحمل في داخلها سموم مختلفة تنتج أصلاً في الجسم، أو يتعرض لها الإنسان أثناء نشاطاته المختلفة، فسخر لها الله سبحانه وتعالى أجهزة الإخراج لتخرجها أو لتخرج شيئاً منها عبر هذه الفضلات وعبر أجهزة أخرى، كما تحمل أيضاً أنواعاً متعددة مختلفة من الكائنات الحية الدقيقة الممرضة. ويشير كتاب دلائل جودة مياه الشرب والأطعمة الذي صدر من منظمة

(١) السواد الذي يتخلف من الفحم أو من حرق الوقود.

الصحة العالمية<sup>(١)</sup> أن أكثر الأخطار المصاحبة لمياه الشرب والمواد الغذائية ذيوماً وانتشاراً هو التلوث . إما بشكل مباشر أو غير مباشر- بقاذورات المجاري وغيرها من الفضلات، أو بغائط الإنسان أو الحيوان. وقد يعمل التلوث الغائطي لمياه الشرب والأطعمة على إدخال ضروب من الممرضات المعوية . الجرثومية والفيروسية والطفيلية . يمكن أن نطلق عليها الكائنات الحية الممرضة الغائطية أو البرازية، والتي غالباً ما كانت سبباً في انتشار أمراض وبائية قضت على آلاف البشر في وقت وجيز. ومن أمثلة هذه الأمراض الالتهاب المعتدل بالمعدة والأمعاء إلى الأعراض الشديدة والقاتلة أحياناً من الزحار أو الهیضة أو الحمى التيفية.

أما النجاسات الأخرى كأجساد الكائنات النافقة (الميتة) والدم فهي أيضاً تعتبر بيئات ملائمة ومناسبة للنمو وتكاثر الميكروبات الممرضة بمختلف أنواعها وأجناسها.

ومما تقدم ذكره ندرك أن النجاسات والملوثات النجسة تعمل في وقت وجيز على نشر الأمراض الوبائية التي تقضي على أعداد كبيرة من البشر.

### المشكلات الصحية من الملوثات غير النجسة

أما المشكلات الصحية التي قد تنتج من التعرض للملوثات الكيميائية غير النجسة، فتختلف اختلافاً بيناً حسب نوع الملوثات وتركيزها وتركيبها، ونذكر في ما يلي بعض التأثيرات الصحية التي تسببها الملوثات الكيميائية غير النجسة عندما تتراكم في الجسم وتصل تركيزاتها إلى

(١) منظمة الصحة العالمية، دلائل جودة مياه الشرب. المعايير الصحية ومعلومات مساعدة أخرى، الطبعة العربية عن المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، الإسكندرية، ١٩٨٩م.



حدود معينة حسب التأثيرات الصحية<sup>(١)</sup> في الآتي:

- مواد مسرطنة.
- مواد تؤثر على الجهاز المناعي.
- مواد تؤثر في الكلى والكبد.
- مواد تؤثر على المخ.

### ما الفرق بين تأثيرات الملوثات النجسة وغير النجسة

لقد أصبح من المعلوم جيداً أن الكائنات الحية الدقيقة بمختلف أجناسها وأنواعها وتأثيراتها تحيط بنا من كل جانب، فهي توجد في طعامنا وشرابنا، وفي الهواء الذي نتنفسه، بل وفي داخل أجسامنا وعلى بشرتنا، ورغم ذلك فقد جعل خالق الكون جلته قدرته عوامل عديدة فعالة تحول دون أن تؤثر هذه الكائنات في أجسامنا. ومن أهم هذه العوامل أنها لا تتواجد في هذه البيئات بكثافة عالية، إذ إن الكائنات الممرضة لا تستطيع أن تسبب المرض إلا إذا شاء الله أن تدخل في الجسم بأعداد كبيرة جداً، لكن البعض منها - وهو نادر جداً لا يتواجد عادة في بيئتنا - قد يسبب المرض عندما يتيسر له أن يدخل في الجسم ولو بعدد قليل. فعلى سبيل المثال وجد العلماء أنه يكفي أن يدخل في الجسم قدر ضئيل من الكائنات الممرضة المسببة للحمى التيفية (السلمونية التيفية) لتحث المرض، في حين يتطلب الأمر عادة عدة ملايين من خلايا أنواع السلمونية المصلية حتى تسبب التهاب المعدة والأمعاء<sup>(٢)</sup>.

وقد وُجد أن الفضلات الخارجة من السبيلين هي بيئة خصبة

(١) زللي، عبد البديع حمزة، مقدمة لعلوم التلوث البيئي: تلوث الهواء. ط١، المدينة المنورة: طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢) منظمة الصحة العالمية، دلائل جودة مياه الشرب. ٤/٢.

للميكروبات، حيث تتواجد فيها بكثافة، وتتمو وتتكاثر فيها بسهولة؛ ولهذا فإن كثافة ما يتواجد في البيئات النجسة من ميكروبات لا يمكن مقارنته أبداً بكثافة ما يتواجد منها في البيئات الأخرى السليمة؛ ولهذا فإن تأثيرات ما يتواجد في النجاسة من ميكروبات سيكون سريعاً.

أما تأثير الملوثات غير النجسة فإن لم يكن المرء مصاباً بداء التحسس من مواد معينة فإن تأثير الملوثات غير النجسة على صحة الإنسان ليس كتأثير النجاسات، فتأثيراتها غير فورية، وإنما تأثيرات تراكمية، أي إن الإصابة بما تحدثه من مشكلات صحية أياً كان نوعها تحتاج إلى زمن طويل جداً حسب عدد المرات التي يتعرض لها الإنسان، وحسب تركيز الملوث وكميته التي تدخل في الجسم، وهذه المدة تتراوح من عدة شهور إلى عدة سنين.

والحكمة في عدم جواز الصلاة في وجود النجاسة أن الصلاة تقتضي أن يصلي الإنسان على الأرض المفروشة بالسجاد أو غير المفروشة، وإذا كان أحد أعضاء المصلي يحمل النجس، أو ثيابه ملوثة بالنجاسة، فإن ذلك يعني انتقال ما تحويه هذه النجاسات من سموم وكائنات حية دقيقة مُمرضة إلى موضع السجود ويتلوث بها السجاد أو الأرض. وقد مرّ بنا أن الفضلات التي تخرج من السبيلين تحتوي على الكائنات الحية الممرضة بكثافة تسمح بحدوث مشكلة صحية على نطاق فردي أو جماعي، خاصة إذا انتقلت من الشخص المريض. وعرفنا أن تأثيرات هذه الكائنات المُمرضة تكون عادة تأثيرات فورية؛ خاصة تلك التي تستطيع أن تسبب المرض الوبائي حتى لو دخل الميكروب في الجسم بعدد قليل جداً. ومن هنا فإن إصابة جسم الإنسان بالنجاسات التي تحتوي على مثل هذه الميكروبات قد تؤدي إلى إحداث مشكلات صحية خطيرة تنتشر بسرعة عظيمة يكاد

يصعب الهيمنة عليها في زمن قصير، وتؤدي إلى موت أعداد كبيرة من البشر.

ومن هذا المنطلق يتجلى لنا شيء من الحكمة في عدم صحة الصلاة بالنجس والملوثات النجسة؛ لأن تأثيراتها فورية على مستوى الأفراد، أو وبائية على مستوى الجماعات، فيكون هذا الحكم حائلاً دون وقوع الملوثات الممرضة أو الوبائية في جميع بيئات الإنسان، وخاصة تلك التي يؤدي فيها العبادة.

أما الملوثات غير النجسة فهي لا تسبب أي أذى أو ضرر فوري، وإنما يمكنها أن تحدث الأذى والضرر متى ما سمح الإنسان بها أن تدخل في جوفه، أو تستقر على جلده بشكل مستمر وعلى فترات زمنية طويلة. وبرغم أن حكم التنزه والتبرء من النجاسات يُطالب به المسلم في كل الأحوال، إلا أن هذا الحكم يتأكد في الحج والعمرة؛ ولذا فإن المسلم مطالب بزيادة الحذر والحيطه من أن يتعرض للنجاسات من أي مصدر كان؛ حتى لا يسهم في نشر المرض أو الوباء؛ لأن المسلم في الحج والعمرة يحتك بأعداد غفيرة من البشر، وقد يكون منهم المريض المصاب بداء مُعد قد يسبب وباء حبيساً في الجسم أو البيئته، أو طليقاً على نطاق محدود أو واسع<sup>(١)</sup>.

### تعاليم الإسلام تضم القواعد والأسس الصحية

يدعي بعض علماء العصر الحديث، وخاصة الخبراء في علم مسببات الأمراض، وعلم الكائنات الحية الدقيقة والأحياء، وخبراء التغذية أنهم هم

(١) الإعجاز العلمي في لفظتي مريض ومُمرض. مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. ع ٢٦: ١٨٥ - ٢٠٦ (١٤٢٨هـ).

الذين قد وضعوا القواعد والأسس الصحية التي تجعل الإنسان يتمتع بصحة جيدة متى ما طبق هذه الأسس والقواعد في حياته اليومية ، في حين أننا نجد أن القرآن الكريم وأن الهادي البشير صلوات ربي وسلامه عليه قد وضع لنا هذه الأسس قبل أكثر من أربعة عشر قرناً. ونذكر على سبيل المثال آية في كتاب الله تجمع القواعد الصحية كلها.

### الأسس والقواعد الصحية في هذه الآية الكريمة

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَبْنِيْءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن المتدبر في هذه الآية الكريمة يرى أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بأخذ الزينة عند كل مسجد ، ثم عطف على هذا الأمر بأمر آخر يلحق به فقال سبحانه: وكلوا واشربوا ولا تسرفوا. وهنا قد يُثار في الذهن سؤال حول الأمر الثاني (وكلوا واشربوا) المعطوف على الأمر الأول (خذوا زينتكم):

ما علاقة الأكل والشرب بأخذ زينتنا عند كل مسجد أو عند كل صلاة؟

لقد فسّر علماء التفسير هذه الآية الكريمة، وذكرنا أسباب نزولها، وأوردوا المسائل التي تتعلق بهذه الآية.

إن قوله سبحانه وتعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ يعني أن نأخذ زينتنا عند كل مسجد وعند كل صلاة. وقال الإمام الرازي: قد أجمع المفسرون على أن المراد بالزينة هنا لبس الثوب الذي يستر العورة. والأمر هنا للوجوب. فثبت أن أخذ الزينة واجب، فكل ما سوى اللباس غير واجب.

(١) سورة الأعراف، آية ٣١.

وذكر الإمام ابن كثير<sup>(١)</sup> أن هذه الآية ورد في معناها في السنة. إذ يستحب التجميل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيدين، والتطيب؛ لأنه من الزينة، والسواك؛ لأنه من تمام ذلك. ومن أفضل اللباس البياض.

### وجه من الإعجاز العلمي في الآية الكريمة:

بعد أن توسعت العلوم توسعاً عظيماً، وظهر علم مسببات الأمراض تكشّف للناس جميعاً وجه من الإعجاز العلمي في هذه الآية الكريمة. وقبل أن نلقي الضوء على هذا الوجه نكرر ما نقوله دائماً: في أن التوافق العظيم والانسجام المذهل لما يتكشف للناس من حقائق علمية تتساق لتتطابق مع آية في كتاب الله الكريم أو مع حديث لرسول الله ﷺ، إنما هو صورة من صور الإعجاز العلمي في كتاب الله وفي حديث رسول الله ﷺ، ولا يدعوننا ذلك إلى اعتبار ما وجدناه مطابقاً للآية أو الحديث هو تفسير لتلك الآية أو ذلك الحديث، أو نلغي ما قاله الأولون من المفسرين وشرّاح الحديث حول الآية أو الحديث بحجة أنهم لم يدركوا الحقائق العلمية على حقيقتها، فعدم موافقة أقوالهم لما تكشف لنا في عصرنا لا يعني جهلهم بالكتاب والسنة، وإنما أطلعهم الله على ما تكشف لهم بقدر ما يحتاجون إليه، وبما يؤكد صلاحية الكتاب والسنة لعصرهم، كما كانا صالحين لمن جاء قبلهم. وينبغي الرجوع إلى المعتمد من تفسير القرآن الكريم وشرح أحاديث المصطفى ﷺ كمرجعٍ دائمٍ لنا، نرجع إليه وننهل منه، وذلك لا يعوقنا عن الأخذ بالحقيقة العلمية التي تأتي منسجمةً ومتوافقةً تمام التوافق مع النصوص القرآنية أو النبوية. إذ يجمع هذا كله أن القرآن الكريم، وأحاديث المصطفى ﷺ من جوامع الكلم، وأنهما

(١) ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم. ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. ٢١٩/٢.

صالحين لكل زمان ومكان.

ونعود الآن إلى موضوعنا ونقول: إن المرء لا يمكنه أبداً أن يقدم على الصلاة إلا وقد قام بأمرين اثنين:

**الأمر الأول:** هو التخلص من أي نجاسة أصابت بدنه أو أصابت جسمه، أو أصابت المكان الذي سيؤدي الصلاة فيه.

**والأمر الثاني:** هو الوضوء؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة والوضوء. وبتحقيق هذين الأمرين يعمل المسلم بإذن الله على تجنب نفسه وتجنب غيره من ما يحتمل أن يتعرض له من ملوثات ميكروبية ضارة، تكون عادة موجودة بكثافة عالية في الملوثات النجسة.

ويحكم عمل الإنسان ونشاطاته المختلفة التي يقوم بها في كل يوم، فإن المرأة في بيتها تُعرّض يومياً بدنها وثيابها لكل المواد الكيميائية التي تستخدمها في عملية التنظيف والتطهير ومكافحة الحشرات، بل والمواد التي تستخدمها في عملية التزيين والترزين، وكذلك هو الحال بالنسبة للرجل، فربما تقتضي مهنته أن يتعامل مع مواد كيميائية بشكل مستمر يومياً؛ الأمر الذي يجعل جسمه وثوبه - خاصة من لا يأخذ بالحيلة والحذر - يتلقى يومياً كميات ضئيلة أو كثيرة - حسب طبيعة العمل - من هذه المواد الكيميائية الضارة؛ الأمر الذي قد يظهر أذاها.

فما الحكمة إذاً في إباحة الصلاة في وجود الملوثات غير النجسة رغم أنها ضارة؟

### حكم إباحة الصلاة في وجود الملوثات غير النجسة

يعلم خالق البشر سبحانه وتعالى أن عباده قد يصعب عليهم عند حلول وقت الصلاة أثناء عملهم المهني التخلص كلياً من الملوثات كالصبغات أو الألوان أو السجَم أو ملوثات أخرى قد أصابت أبدانهم أو ثيابهم، فأباح

الرؤوف الرحيم لجميع خلقه الصلاة بالملوثات الكيميائية الطاهرة. ولعل حكم إباحة الصلاة بيدن أو ثوب، أو في مكان قد أصابته الملوثات الكيميائية غير النجسة قد يجعل المرء لا يكثرث ولا يأبه فيما يصيب بدنه أو ثوبه من ملوثات كيميائية؛ الأمر الذي يجعلها ميسرة لتختلط بطعامه وشرابه، وتدخل في جوفه يومياً بواسطة هذا الطريق دون أن يحس أو يشعر؛ وذلك لأنها تدخل بكميات ضئيلة. والمرء بهذا العمل سيحقق بذلك إذا أراد الله تلك العوامل التي تراكم المواد الكيميائية تدريجياً في الجسم، وتسبب للإنسان المرض أو المشكلات الصحية المستعصية بعد زمن طويل جداً غالباً. ويدل علم التسمم المهني والبيئي أن المواد الكيميائية الضارة تتراكم تدريجياً في الجسم عندما تتحقق لها ثلاثة عوامل متلازمة في وقت واحد تتمثل في الآتي:

- أن يتعرض الجسم لها بقدر يفوق قدرته على إخراجها كلها عن طريق الفضلات الخارجة من الجسم (البراز والبول والعرق)، ويفوق قدرته على إصلاح كل ما أتلفته من خلايا في أجهزة الجسم المختلفة، كالكلية والكبد والطحال والدم والمخ وغيره.
  - الاستمرارية في التعرض لهذه الملوثات لفترات طويلة من عمر الإنسان.
  - المولاة أي لا تترك فترة زمنية قصيرة يتوقف خلالها دخول الملوثات الكيميائية في الجوف، فيكون التعرض تلو التعرض دون توقف خلال الأسبوع أو خلال السنة.
- ولذلك فإن العطلة الأسبوعية والعطلة السنوية التي فرضتها أنظمة الحكومات تحول دون تحقق عامل المولاة، وبذلك لا تسمح لهذه المواد أن تتراكم في جسمنا وتصل بسرعة إلى الحدود الحرجة.

والله سبحانه قد أمرنا بأمر يجعلنا بصورة مباشرة أو غير مباشرة نبتعد عن العوامل التي تحقق تراكم المواد الضارة في أجسامنا عن طريق الطعام والشراب وهو أن نأخذ زينتنا عند كل صلاة.

### فماذا يُحقق أخذ الزينة عند كل صلاة؟

أخذ الزينة عند كل صلاة يبعدنا عن أخطار صحية محتملة سبق أن مررنا أن بعضنا قد يعمل يومياً على تلوث طعامه وشرابه بالمواد الكيميائية الضارة بشكل غير مباشر؛ وذلك عندما لا نُخلص منها أيدينا وثيابنا نهائياً، فيتحرر بعض هذه المواد ويختلط بالطعام والشراب، ومن هذا المنطلق ينبغي الحرص كل الحرص على عدم جلب الأكل والشراب في مكان المهنة وأثناء العمل؛ لأن فرصة تلوث هذا الطعام والشراب بما تستخدمه من مواد كيميائية ستكون أكبر. وهو سلوك الخاطئ يعرض الصحة للخطر، وعندما تستمر وتتوالى عملية الأكل والشراب أثناء العمل المهني، ويكون البدن والثياب ملوثة؛ فإن ما يعلق بها من ملوثات سيتحرر منها دون أن نشعر، وتلوث الطعام والشراب، وتدخل بعد ذلك في الجوف، وتتراكم تدريجياً في الجسم لتحدث لا قدر الله أذاها مستقبلاً.

وهنا تتجلى لنا رأفة ورحمة الرؤوف الرحيم إذ خصَّ الصلاة بأمر ثالث وهو أخذ الزينة عند كل صلاة؛ وهذا الأمر يجعل المسلم يأخذ بجميع الوسائل التي تحقق له كمال الزينة وحسن المظهر؛ ولذلك ينبغي على المسلم قبل كل صلاة أن يحرص كل الحرص على أن لا يعرض بدنه أو ثوبه إلى ملوثات تسيء إلى مظهره.



### أمر غير مباشر يدعو إلى تطبيق وسائل الحماية

ولأن الصلوات المفروضة علينا هي خمس صلوات في اليوم واللييلة، فإن عدد المرات التي نحتاجها كي نأخذ زينتنا هي أيضاً في الغالب خمس مرات، وقد يصعب علينا بحكم طبيعة مهنتنا أن نأخذ زينتنا؛ لأن ذلك يلزمنا أن نغتسل ولو جزئياً في اليوم أكثر من مرة، أو قد يلزمنا أن نستخدم مواد كيميائية أخرى خطيرة للتخلص من هذه الملوثات، فيأتي الضرر عندئذ من جهتين؛ ولذلك ترانا نبحث عن كل وسيلة وكل طريقة تحول دون إصابة أبداننا بالمواد الكيميائية التي نستخدمها في مهنتنا. وينبغي أن نأخذ بالوسائل التي تحقق لنا هذا الأمر، ومن ذلك على سبيل المثال:

- أن نجعل لأنفسنا لباساً خاصاً لمهنتنا يسهل علينا خلعها عند كل صلاة، ولبس ثوب طاهر نظيف يخلو من أي شائبة تظهره بمظهر غير حسن.

- أن نجعل في أيدينا وسيلة من الوسائل التي تحول دون إصابتها بأي ملوث سيئ. فعلى سبيل المثال يتعرض العمال في الورش الميكانيكية إلى الزيوت والشحوم المستعملة في الآلات، أو يتعرضون إلى مادة الإسبستوس شديدة الخطورة الموجودة عادة في أقمشة الكوابح (الفرامل)، وتتسخ بها وجوههم وأيديهم، إضافة إلى أنها قد تسبب لهم أخطار محتملة، فعندما يأكل هؤلاء العمال أي طعام أثناء عملهم فإن هذه الملوثات الخطيرة ستنتقل من أصابعهم ومن لباسهم الملوث بها إلى طعامهم الذي يأكلوه.

- أن نلبس قناعاً يحول دون أن نعرض وجهنا لأي نوع من الملوثات. ولعل الأخذ بالوسائل التي ذكرت أعلاه وغيرها من الوسائل الأخرى يحقق أمر الله سبحانه وتعالى في أن نأخذ زينتنا عند كل صلاة وعند كل

مسجد .

إذا فأخذ الزينة خمس مرات عند كل صلاة يعني تماماً أن نجعل أبداننا وثيابنا مهيأة صحياً للأكل والشرب، فهي لا تحمل أي ملوث يحتمل أن يتحرر منها وينتقل إلى طعامنا وشرابنا. ويظهر مما جاء في هذه الآية الكريمة من عطف للأكل والشرب على أخذ الزينة عند كل مسجد وعند كل صلاة وجه من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فهي تدل على ما كشفه العلماء من أن الإنسان مهيأ للأكل والشرب صحياً عندما يكون بدنه أو ثوبه طاهراً أو نظيفاً، وهو غير مهيأ للأكل والشرب عندما يكون بدنه ولباسه ملوثاً بأي ملوث من الملوثات والأقذار. وكأن في هذه الآية الكريمة دعوة غير مباشرة إلى عدم الأكل والشرب وبدن الإنسان أو ثوبه ملوث بأي ملوث يضر ويظهره بمظهر غير حسن، وفيها أيضاً دعوة إلى الأخذ بالوسائل التي تجعل المرء أثناء عمله لا يتعرض إلى الإصابة بأي ملوث.

ومن رحمته سبحانه وتعالى أن هذا الأمر يوجه لكل بني آدم وليس للمسلمين فقط، فالآية الكريمة تقول: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(١)</sup>. على أية حال فإنه يظهر للجميع أن الصلاة تلو الصلاة لا تطهر المسلم من ذنوبه وخطاياها وحسب، وإنما تطهر جسمه وثوبه أيضاً من الأدران والأقذار الحسية. روى الإمام البخاري رحمه الله<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه

(١) (سورة التوبة، آية ١٠٨).

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري. ط١. القاهرة: دار البيان للتراث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م. كتاب مواقيت الحج، باب الصلوات الخمس كفارة، حديث رقم ٥٢٨، ١٤/٢-١٥.

سمع رسول الله ﷺ يقول: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يُبقي من درنه؟ قالوا: لا يُبقي من درنه شيئاً. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا).

وبلفظ آخر روى الإمام مسلم رحمه الله<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ يقول: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقي من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيء. قال: ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا).

وغني عن الذكر أن نشير هنا إلى ما علّمه الناس جيداً، وكُتبت فيه الكتب العديدة، وخاض فيه علماء التغذية في كافة وسائل الإعلام (المقروءة والمكتوبة والمسموعة)، وهو علاقة الإسراف في الأكل والشرب بالصحة؛ فإن الأمر الإلهي الذي أمرنا به بالأخذ بالزينة عطف عليه الأكل والشرب، ثم عطف على ذلك بالنهي عن الإسراف، وذلك يتمثل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾. وقد ذكر ابن كثير رحمه الله<sup>(٢)</sup> عن بعض السلف أنه قال: جمع الله الطب كله في نصف آية - وهي المذكورة أعلاه. وذكر أن الإمام البخاري رحمه الله قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما شئت والبس وما شئت ما أخطأتك خصلتان سرفٌ ومخيلة.

ومما تقدم ذكره يتجلّى للمسلمين وغيرهم شيء من الحكمة في اهتمام الإسلام البالغ بالطهارة والنظافة بعد أن اكتشف العلماء عالم

(١) النووي، محمد محيي الدين بن شرف، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ط١، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ١٣٤٧هـ. كتاب المساجد ومواضع الصلاة، فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، ١٧٠/٥.

(٢) ابن كثير (مج٢، تفسير سورة الأعراف، مج٢، ص٢١٩).

الكائنات الحية الدقيقة الخفية، فعرفنا عند ذلك أن القذارات والأوساخ متى ما تمثلت في البدن أو المكان ستكون مصدراً من مصادر المشكلات الصحية.

وسنوضح فيما يلي باختصار كيف أمر الإسلام بنظافة البدن والمسكن والطريق، ونظافة البيئة في جميع الأوقات والأحوال. ويتأكد هذا الأمر على المسلمين في الحج والعمرة؛ لاعتبارات عديدة سنذكر بعضها في ما يلي:

### نظافة البدن:

سبق وذكرنا أن طهارة البدن ونظافته من النجاسات هي شرطٌ أساسي من شروط صحة الصلاة، فالصلاة لا تصح للمسلم العاقل ما لم يُزل النجاسة عن مخارج السيلين (الحدث الأصغر) بالغسل أو الاستنجاء، وما لم يتطهر من الجنابة (الحدث الأكبر) بالاغتسال.

لقد أثنى الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على المتطهرين الذين يحرصون كل الحرص على نظافة أبدانهم من النجاسات والقاذورات، بل لقد أنعم عليهم بحبه لهم، فقال سبحانه في رجال من الأنصار من أهل قباء:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّطَّهِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه كذلك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَّطَّهِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولأن بدن الإنسان غالباً ما يصيبه أثناء عمله وتقلباته في حياته اليومية كثير من الأدران والقاذورات، فقد حرصت تشريعات الإسلام على أن يتعهد المسلم نفسه بالاغتسال أسبوعياً على الأقل لأمرين هما:

(١) سورة التوبة، آية ١٠٨.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٢.

## ١- الاغتسال من أجل تنظيف البدن:

تعمل عموم أحكام الإسلام وتشريعاته على إبعاد كل ما يُسبب الأذى للفرد المسلم وللمجتمع الذي حوله. ومن المعروف أن العرق والأدران الأخرى عندما تتراكم على جسد الإنسان تتبعث منها روائح كريهة ينفر منها الناس، كما تسبب هذه الأدران مشكلات صحية مختلفة؛ ولذا فإن أحكام الإسلام قد تكفلت بحماية المسلم من أن يُصاب بالمشكلات الصحية والحسية التي تنتج من تراكم الأدران على الجسد، فنجد أن أحكام الإسلام قد أمرت المسلم أن يغتسل من أجل تنظيف بدنه مرة واحدة في الأسبوع على الأقل، إذ يتأكد الغسل في كل يوم جمعة. والأحاديث التي وردت في شأن الأمر بالغسل من أجل تنظيف البدن كثيرة، ونذكر منها هنا بعض الأحاديث التي وردت في صحيح الإمام البخاري رحمه الله<sup>(١)</sup>: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "غُسِّلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ".

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل".

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن عمر رضي الله عنه بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ دخل رجلٌ، فقال عمر: لمَ تَحْتَسِنُونَ عن الصلاة؟ فقال الرجل: ما هو إلا أن سمعت النداء توضحاً، فقال: ألم تسمعوا النبي ﷺ قال: "إذا راح أحدكم إلى الجمعة فليغتسل".

وحرصاً على عدم تأذي الناس بروائح الأدران والعرق التي ربما تتبعث من بعض الأفراد حتى بعد غسلهم بفترة زمنية قصيرة، فقد راعى العلماء

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة باب رقم (٢). ٤١٥/٢.

هذا الأمر، إذ أشار ابن حجر رحمه الله إلى معالجة هذه المشكلة، فقال: "إذا عرف أن الحكمة في الأمر بالفسل يوم الجمعة والتتظيف رعاية الحاضرين من التأذي بالرائحة الكريهة، فمن خشي أن يصيبه في أثناء النهار ما يزيل تتظيفه استحب له أن يؤخر الفسل لوقت ذهابه".

## ٢- الاغتسال من أجل رفع الجنابة:

توجب أحكام الإسلام على كل مسلم ومسلمة رفع الجنابة في أي وقت من الأوقات، وهذا دليل على عناية الإسلام بنظافة البدن في كل الأحوال والأوقات. ولعلنا في هذا المقام نشير إلى أن المضمون الشرعي للفظ الجنابة وحكمها الشرعي يدل دلالة قاطعة على أهمية طهارة ونظافة البدن. ولفظة الجنابة في حد ذاتها تُظهر لنا إعجازاً علمياً مذهلاً يتعلق بهذا الشأن<sup>(١)</sup>. وسنلقي فيما بعد على هذا الموضوع شيئاً من الضوء.

## نظافة الملابس والترغيب في الظهور بالمظهر الحسن الجميل

لقد رغبت تعاليم الإسلام وتشريعاته في أن يظهر المسلم بمظهر أنيق حسن وهيئة جميلة، فينبغي أن يكون شعر رأسه مهذباً نظيفاً، وأن يكون لباسه ونعله طيباً، وسبق أن مررنا كيف أن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نأخذ زينتنا عند كل صلاة، بمعنى أن نأخذ زينتنا في جميع الأوقات، فالصلوات الخمس تشمل الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء. والأحاديث النبوية المتعلقة بهذا الموضوع كثيرة لا مجال لذكرها هنا، ولكن يمكن أن نستشهد ببعضها.

(١) عبد البديع حمزة زلي. الإعجاز العلمي في لفظة الجنابة وحكمها الشرعي، مجلة بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد ٢٣ ص ١٦٩. ٢٠٨. ١٤٢٨ هـ).

روى الإمام مسلم<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن مسعود قال: قال الرسول ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً. قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس".

روى الإمام ابن ماجة<sup>(٢)</sup> عن طلحة بن نافع قال: حدثني أبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، أن هذه الآية نزلت - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المظهرين. قال رسول الله ﷺ: "يا معشر الأنصار إن الله قد أتى عليكم في الطهور. فما طهوركم؟" قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستجي بالماء. قال: "فهو ذاك. فعليكموه".

أمر الله سبحانه وتعالى ﴿وَيَأْتِكُمْ فَاطْمَأْنِنُوا﴾ جاء في تفسير الطبري<sup>(٣)</sup> عن يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ﴿وَيَأْتِكُمْ فَاطْمَأْنِنُوا﴾: كان المشركون لا يتطهرون فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يتطهروا ويتطهروا ثيابه.

### الحث على لبس الثياب البيضاء:

ورد في كتب الصحاح أن الرسول ﷺ لبس الثياب الملونة في مناسبات مختلفة، فقد لبس الثوب الأحمر<sup>(٤)</sup>، ولبس الثوب الأخضر، والكساء

(١) النووي، الإمام محيي الدين بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي. ط ١، القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر،

١٣٤٧هـ، كتاب الإيمان باب تحريم الكبر. ٨٩/١.

(٢) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ). سنن ابن ماجه، حققه ورقم أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله، بيروت: دار الكتب العلمية. كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالماء،

(باب ٢٨)، حديث رقم ٣٥٥، ١٢٧/١.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٥ - ٣١٠)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ط ٢، القاهرة: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ٢٩٨/١٢.

(٤) فتح الباري، باب الثوب الأحمر (٣٥)، حديث رقم ٥٨٤٨. ٣١٨/١٠.

الأسود<sup>(١)</sup>، لكنه رغب وحث على لبس الثياب البيضاء.

روى الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد جيد عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: "عليكم بثياب البياض فالبسوها، فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم"<sup>(٢)</sup>.

وروى الحديث أيضاً الإمام الترمذي رحمه الله<sup>(٣)</sup> بلفظ: "البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم".

وذكر الإمام المباركفوري رحمه الله<sup>(٤)</sup> أن قوله ﷺ: (البسوا البياض) أي الثياب البيض، كما في رواية (فإنها أطهر) أي لا دنس ولا وسخ فيها. وذكر أن الطيبي قال: لأن البيض أكثر تأثراً من الثياب الملونة، فتكون أكثر غسلًا منها، فتكون أطهر. (وأطيب) أي أحسن طبعاً أو شرعاً. وقد شبه الرسول ﷺ المؤمن بالثوب الأبيض في دعاء نبوي معروف، وشبه ما يقترفه من ذنوب وخطايا بالدنس الذي يصيب هذا الثوب. ورد في صحيح البخاري<sup>(٥)</sup> أن المصطفى ﷺ كان يدعو بين التكبيرة والقراءة بقوله: "اللهم باعد بين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد".

(١) انظر تحفة الأحوذى، أبواب الاستيذان والآداب، باب ما جاء في الثوب الأخضر، حديث رقم ٢٩٦٥؛ باب ما جاء في الثوب الأسود، حديث رقم ٢٩٦٦، ٧٨/٨-٧٩.

(٢) ابن حنبل، الإمام أحمد (١٦٤ - ٢٤١ هـ): مسند الإمام أحمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ح ٨٦٦.

(٣) المباركفوري، أبو العلاء محمد عبد الرحمن (١٢٨٣ - ١٣٥٣ هـ)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م (باب ما جاء في لبس البياض)، حديث رقم ٢٩٦٢، ٧٦/٨.

(٤) المرجع السابق.

(٥) فتح الباري لابن حجر (مرجع سابق)، باب ما يُقال بعد التكبير.



نقف مع هذا الحديث الشريف وقفةً ما أروعها، وما أكثر الوقفات الرائعة الجميلة مع الهدي الإسلامي، فلقد استخدم الهدي الإسلامي الحنيف أسلوباً فريداً من نوعه في التعليم والتوجيه والوعظ والإرشاد، هذا الأسلوب يتمثل في الإكثار من التشبيهات وضرب الأمثلة، حتى ندرك بسهولة ويسر المقصود من الآية القرآنية أو الحديث النبوي.

ونجد في هذا الحديث الشريف أن المصطفى ﷺ مثل الذنوب والخطايا بالدنس والأدران التي تصيب الثوب الأبيض النقي، وهو تشبيه غاية في البلاغة والجمال، فلو أن أحداً كان يرتدي ثوباً أبيض نظيفاً ووقعت عليه نقطة من الحبر مثلاً لوجد حرجاً بالغاً في ارتداء الثوب ما لم يُزل بقعة الحبر التي أصابت الثوب، على الرغم من نظافته إلا من هذه البقعة التي قد تلفت الأنظار إليها؛ لوضوحها تماماً بسبب بياض الثياب، أمّا لو كان الثوب أسود مثلاً ما ظهرت البقعة بنفس الوضوح، بل ربما لا يلحظها أحد.

كلنا يعلم أن الماء هو الوسيلة المثلى لإزالة الأوساخ والملوثات. فما علاقة

#### الثلج والبرد بإزالة الملوثات؟.

وبعد أن توسعت المعرفة بعلوم التلوث البيئي ظهر للناس جميعاً أن الثلج والبرد هما وسيلتان أيضاً من وسائل إزالة ملوثات الهواء وأدراجه الغازية والجسمية، فظهر في هذا الدعاء النبوي الشريف وجهان من الإعجاز العلمي، وجه يتعلق بالإخبار، ووجه آخر يتعلق بترتيب الكلمات الثلاث (الماء والثلج والبرد). ولقد شبه الرسول ﷺ نفس الكلمات الثلاثة في دعاء نبوي آخر بتشبيهه مختلف، لكن ترتيب هذه الكلمات قد اختلف في الدعاء، وقد لا ينتبه كثير منا إلى الاختلاف في ترتيب هذه الكلمات الثلاث، ولا يخطر ببال أحداً حقيقة علمية فيزيائية انسأقت انسياقاً عجيباً لتتوافق مع هذا الترتيب، وينكشف لنا بذلك وجه من وجوه الإعجاز

النبوي البلاغي في أقواله ﷺ (١).

ونعود الآن إلى إظهار شيء من الحكمة في ترغيب المصطفى ﷺ في لبس الثياب البيض والحث عليها.

### الحكمة في الترغيب والحث على لبس الثياب البيضاء

يظهر لنا شيء من الحكمة عندما نتلمس الفوائد التي يمكن أن يجنيها المرء من لبس الثياب البيضاء. وهذه الفوائد قد تتمثل في ثلاثة جوانب، هي الجانب الصحي والجانب النفسي والجانب الاجتماعي، ونبين ذلك في ما يلي:

#### الجانب الصحي:

إن سلامة صحة الإنسان لها علاقة بالثياب البيضاء بشكل مباشر وغير مباشر، فاللون الأبيض له نفوذ واضح يحول دون تجمع وتراكم الملوثات الميكروبية والكيميائية، ويحول دون توفر العوامل البيئية الملائمة لنمو وتكاثر الميكروبات؛ ومن أهمها وفرة العناصر الغذائية، والبيئة المظلمة، ودرجة الحرارة إلى الحرارة المناسبة، ونوضح ذلك في ما يلي:

#### • وفرة المواد الغذائية:

إن الملابس الملونة تساهم في تجمع وتراكم المواد والعناصر الغذائية عليها؛ مما يسمح بوجود أهمّ عامل لنمو وتكاثر الميكروبات.

#### • الضوء:

تساهم الملابس الملونة وخاصة الداكنة والسوداء في توفير بيئة قاتمة للميكروبات وخاصة البكتيرية والفطرية، حيث إن هذه الكائنات لا

(١) زللي، عبد البديع حمزة، وجوه متنوعة من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: وجوه علمية في الإعجاز البلاغي واللغوي في القرآن والسنة. ط١، المدينة المنورة: طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤١٩هـ.

تحب الضوء، في حين لا تتوفر هذه البيئة على الثياب البيضاء.

#### • عامل الحرارة:

تساهم الملابس الملونة على رفع درجة حرارة الثوب أكثر من اللون الأبيض بعدة درجات؛ مما يعمل على زيادة نشاط النمو الميكروبي وزيادته.

#### الجانب النفسي:

غني عن الذكر أن نشير إلى ما ألهه الناس وعرفوه بداهةً من علاقة الألوان براحة النفس أو انقباضها. فليس غريباً أن تسمع ممن يدخل في غرفة ذات ألوان قاتمة أن يقول: إنها غرفة قاتمة تسبب ضيق النفس، وفي الوقت نفسه ممن يدخل في غرفة بيضاء ناصعة: إنها غرفة وضاءة تشرح النفس وتسرها، إذ إن اللون الأبيض يبعث في النفس السرور والبهجة. ومن هنا فإن اللباس الأبيض غالباً ما يسر النفس ويهيجها.

وفيما يخص الأبحاث والدراسات التي تتعلق بتأثير الألوان على نفسية الأفراد، فقد ذكر عالم النفس البروفيسور فرانسيس<sup>(١)</sup> في كتابه المتخصص بعلم النفس البيئي: أن دراسات علم النفس البيئي أثبتت أن هناك تأثيراً للألوان على مشاعر وأداء الأفراد. وتشير معظم الدراسات إلى أن الأشخاص يفضلون الألوان الناصعة على الألوان القاتمة.

#### الجانب الاجتماعي:

ما من شك أن حرص المرء على الاستمرار في لبس البيضاء يدل على أناقته وحرصه على الطهارة والنظافة، ولذا نرى أصحاب الوجاهة العالية والمناصب الرفيعة ورجال الأعمال في كل دول العالم يعمدون إلى لبس البديل البيضاء والأحذية البيضاء والجوارب البيضاء في المناسبات الاجتماعية، بل

(١) مالك أندرو، بروفيسور فرانسيس، علم النفس البيئي. ط٢، مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٢م (ص ١١٦).

وأصبحت المعاطف البيضاء هي اللباس المطلوب علمياً في المعامل والمختبرات، ونرى الأطباء يرتدونها علمياً أثناء مزوالة مهنتهم. ويكون بذلك قد حققوا أمراً حث على فعله الرسول ﷺ وهم يعلمون أو لا يعلمون.

### تأملات علمية في محظورات الإحرام:

محظورات الإحرام هي ما يحرم على المحرم فعله منذ أن ينوي ويبدأ الإحرام من الميقات. وتشمل محظورات الإحرام عدداً من الأمور وهي:

- أمور تتعلق بصيانة النفس، والبعد عن الوقوع في مسببات الأذى والضرر.

- أمور تتعلق بالحفاظ على موجودات البيئـة من نباتات وحيوانات.
- أمور تتعلق بالامتناع عن فعل بعض سنن الفطرة التي أمر الإسلام بفعلها في كل الأحوال. وهذا ما سنناقشه في هذا الموضوع. فلنعرف شيئاً عن سنن الفطرة النبوية التي حثّ على فعلها الرسول ﷺ في كل الأحوال، وكيف منع فعل بعضها أثناء فترة الإحرام.

### سنن الفطرة:

ورد عدد من الأحاديث تتعلق بسنن الفطرة في كتب الأحاديث المعتمدة. روى الإمام البخاري رحمه الله<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقصُّ الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الأباط".

وروى الإمام مسلم رحمه الله<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "الفطرة خمس أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، باب تقليم الأظفار باب رقم (٩)، ٣٦١/١٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، ص ١٤٦.

الأظفار، ونتف الإبط، وقصُّ الشارب".

وروى أيضاً: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "عشرٌ من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء. قال زكرياء: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة"<sup>(١)</sup>.

وكما هو معروف أنه منذ أن يشرع الحاج بالإحرام من الميقات فيحرم عليه فعل بعض سنن الفطرة وهي ما يلي<sup>(٢)</sup>:

- تقليم الأظافر.
- الاستحداد (حلق شعر العانة).
- نتف الإبط.
- قص شعر الشارب أو إحفاؤه.
- الجماع.

إنه في الوقت الذي تشدد فيه أحكام الإسلام وتشريعاته على المسلم بالأخذ بجميع الوسائل التي تحقق الطهارة والنظافة بشكل عام، وطهارة ونظافة الجسم بشكل خاص، نجد أن أحكام الحج المتمثلة في محظورات الحج أو الإحرام تمنع الحاج أو المعتمر من فعل سنن الفطرة التي ذكرناها أعلاه، الأمر الذي يبدو ظاهرياً أن هذا المنع يتنافى مع الأمور التي تحقق النظافة؛ مما يجعل أحدنا يتساءل. ما الحكمة الخفية في هذا المنع؟ وهل الامتناع عن فعل هذه السنن يتنافى فعلاً مع الأمور التي تحقق النظافة؟ إن الإنسان بطبيعته وفطرته يسعى دائماً إلى معرفة خفايا الأمور، ولا

(١) صحيح المسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ١٤٧/٣.

(٢) فقه السنة، السيد سابق.

يمنع إيمان المؤمن من التطلع إلى ما يخفى عليه من أمر، إذا كان ذلك لا يتنافى مع شرع الله، فهذا نبي الله وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أشار القرآن الكريم إلى تطلعه إلى معرفة كيف يحيي الله الموتى. قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾﴾

على أية حال فإن المسلم مأمور بأن ياتمر بما أمر الله ورسوله به، وينتهي عما نهى الله ورسوله عنه، دون الإصرار على معرفة الحكمة من هذا الأمر أو ذاك النهي، فهو مأمور بالفعل أو عدمه سواء عرف الحكمة أو لم يعرفها، غير أن خالق الكون سبحانه وتعالى العالم بطبائع خلقه يظهر للناس من حين لآخر مع مرور الدهور والقرون شيئاً من خفايا بعض الأحكام الشرعية؛ ليزداد المؤمن إيماناً، وتتجلى لغير المسلم دلائل الإعجاز الإلهي في ذلك الحكم الشرعي؛ ليكون أمامه دليلاً واضحاً بيّناً أن هذا التشريع الإسلامي هو من عند الله سبحانه وتعالى.

ولو تمعنا ملياً في محظورات الإحرام لوجدنا أنها لا تتنافى أبداً مع الأمور التي تحقق النظافة، فالمسلم مأمور بأن يحقق طهارة بدنه ونظافته في جميع الظروف وفي مختلف الأماكن، ولا يحل له في الحل والحرم أن يبتعد عن الطهارة والنظافة وما يحققهما، إذ ينبغي على الحاج أو المعتمر المحافظة على نظافة بدنه ولباس الإحرام، ومتى اعترى جسمه العرق وفاحت رائحته كان من المستحب أن يفتسل حتى لا يتأذى ويتأذى غيره

(١) البقرة ٢٦٠.

بالرائحة الكريهة، ومتى ظهر تحت الأظافر شيء من الأقدار والأوساخ فإن سنة الرسول ﷺ تحته على إزالة هذه الأوساخ، ومتى اتسخ لباس الإحرام كان من المستحب غسله أو لبس لباس جديد نظيف، كما ينبغي إزالة أي شوائب أو عوالق تعلق بالشعر في أي مكان في الجسم.

### محظورات الإحرام لا تتنافى مع أمور النظافة:

سبق وأشرنا إلى أن ترك سنن الفطرة المتعلقة بمحظورات الإحرام لا يكون أبداً عاملاً مشجعاً لترك النظافة، بل يتأكد على الحجاج أو المعتمرين الأخذ بكل ما يحقق أمور الطهارة والنظافة؛ لأن أحكام الإسلام وتشريعاته تسوق المرء إلى تحقيقها لاعتبارات مختلفة. وقد مررنا كيف أمر الإسلام بالطهارة والنظافة، وحث على فعلها في كل الأوقات وفي كل الأماكن، فشملت أحكام الإسلام الأمر بنظافة البدن والملبس ونظافة المسكن ونظافة الطريق. ونوضح في ما يلي بعض الاعتبارات التي تؤكد الأخذ بأمور الطهارة والنظافة في الحج.

- إن الحاج يحتك بشكل مباشر بأعداد غفيرة من الحجاج بمختلف حالاتهم الصحية والاجتماعية، وقد يكون فيهم من هو مصاب أو حامل لمرض معدٍ ينتقل منه إلى غيره بالاحتكاك؛ لذا فإن ترك الغسل يترك فرصة كبيرة للكائنات الممرضة للإصابة بالعدوى والانتشار، ولهذا يتأكد على الحاج القيام بالغسل قدر المستطاع إذا كانت الظروف تدعو إلى ذلك؛ ليجنب نفسه ويجنب الآخرين احتمال الإصابة بالعدوى، إذ إن الغسل يساهم كثيراً في مكافحة انتقال العدوى.

وقد ذكر الإمام ابن قدامة<sup>(١)</sup>: ولا بأس أن يغسل المحرم رأسه وبدنه

(١) المغني، لابن قدامة، كتاب الحج، باب ما يتقي المحرم وما أبيح له.

برفق. مستدلاً بما رواه عبد الله بن جبير قال: أرسلني ابن عباس إلى أبي أيوب الأنصاري، فأتيته وهو يغتسل فسلمت عليه، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا عبد الله بن جبير أرسلني إليك عبد الله بن عباس يسألك كيف كان رسول الله ﷺ يغسل رأسه وهو محرم؟ فوضع أبو أيوب يده على الثوب فطأطأه حتى بدا لي رأسه، ثم قال لإنسان يصب عليه الماء: صب، فصب على رأسه، ثم حرك رأسه بيديه فأقبل بها وأدبر، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل. واستشهد كذلك بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي عمر رضي الله عنه ونحن محرمون بالجحفة: تعال أباقيك أينا أطول نفساً في الماء. وقال: ربما قاسمت عمر بن الخطاب بالجحفة ونحن محرمون. رواهما سعيد.

• تعمل أحكام الإسلام وتشريعاته على تخويف الحاج أن يكتسب الإثم والوزر بدلاً من رجوعه إلى بلده بصحيفة بيضاء، عندما يكون سبباً في ترك المخلفات المهيأة لتكاثر الأوبئة ونموها فيها في أي مكان، سواء كان ذلك في الغرفة التي يسكنها، أو في الطرق، أو في الأماكن التي يتزاحم فيها الناس، ويزداد قدر هذا الإثم بقدر زيادة الأذى والضرر الذي يأتي من هذه المخلفات؛ ومن هنا تحول هذه الأحكام دون الإهمال في النظافة.

• يتأكد على كل المسلمين المحافظة على طهارة ونظافة المساجد، وعلى وجه الخصوص الحرمين الشريفين. فالله سبحانه وتعالى قد أمر خليله وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام أن يهيئاً البيئتين الطاهرتين النظيفة في الحرم المكي؛ لتعم كل من يدخله. قال سبحانه وتعالى في



محكم التنزيل: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(١)</sup>.

فلا يجوز ترك أثر لنجاسة أو قذارة في المساجد ، وإن ترك مثل هذه الأشياء في المساجد قد يعرض المرء لذنوب عظيم وخاصة في الحرمين . هل فترة الامتناع عن فعل سنن الفطرة تحد من وظيفة الشعر والأظافر؟ ولو نظرنا إلى مدة الامتناع عن تقليم الأظافر، وحلق أو قص الشعر غير المرغوب لرأينا أن هذه المدة هي مدة قصيرة، لا تسمح بنمو هذه الأشياء نمواً ملفتاً للنظر، وهذه المدة لا تعوق أبداً وظيفة الشعر والأظافر التي جعلها الله في الجسم لتجنبه شيئاً من أذى وضرر بعض العناصر الدخيلة في الجسم.

ولعله من المناسب هنا أن نشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد جعل في أجسامنا أجهزة وأعضاء تقوم بصفة دائمة ومستمرة بإخراج شيء مما يدخل في الجسم من المواد والعناصر الضارة المؤذية ، كالجهاز البولي والبرازي، والغدد العرقية، والأظافر والشعر، ولعله من المناسب أيضاً أن نشير في هذا الموضوع إلى إسهام الأظافر والشعر في تخليص الجسم بنسبة محدودة من العناصر والمواد الضارة، وهذه النسبة مهما كانت قليلة أو كثيرة تجعل الشعر والأظافر أداة فعالة تخلصنا من أذى وضرر هذه النسبة. وقد يتساءل أحدهنا ما هي المشكلات التي يساهم الشعر والأظافر في تخليص أجسامنا منها؟

### الشعر والأظافر من وسائل تخليص الجسم من السموم:

إن المعادن الثقيلة تعتبر من أهم العناصر الضارة التي يسهم الشعر

(١) البقرة ١٢٥.

والأظافر بتخليص الجسم من جزء منها، فبعض هذه العناصر يسبب مشكلات صحية أو مخية تغيّر من طبائعنا أو سلوكيات أطفالنا خاصة. ولا بد لنا أن نلقي الضوء على هذه المشكلات؛ لنكشف النقاب عن أمور غامضة لبعضنا، ونقف على الوسائل التي تبعدنا عن هذه المشكلات.

قد نرى من يشتكي من أن أطفاله يعانون من ظاهرة التبلد، وعدم القدرة على الاستذكار بشكل جيد، وضعف في الذاكرة، ويعانون من نشاط حركي زائد، وسرعة في التهيج والإثارة، وقد يشتكي آخر من كثرة النسيان لدى الصغير والكبير، بل وملاحظة ظاهرة التخريف المبكر، كما يشتكي الكثير، وخاصة في المجتمعات غير الواعية من تزايد أمراض الكلى، وضغط الدم، وهشاشة العظام. وقد يتعجب البعض إذا قيل لهم: إن التبلد، وعدم القدرة على الاستذكار، وكثرة التهيج والانفعالات لدى الأطفال ربما لا تعود إلى خلقتهم التي خلّقوا عليها، وإنما قد تعود إلى تراكم الرصاص في أجسامهم، وإن كثرة النسيان، والتخريف المبكر، وهشاشة العظام قد تعود إلى تراكم الألمنيوم في الجسم، وإن أمراض الكلى والفشل الكلوي، وضغط الدم، وتضخم القلب قد يعود إلى تراكم معدن الكاديوم.

لقد انتشرت مثل هذه المشكلات الصحية والمخية التي يشتكي منها الكثير في مختلف بقاع العالم، خاصة بعد أن أصبح يحيط بالناس جميعاً كمّ هائل وضخم يصعب حصره من المنتجات الصناعية بمختلف الأغراض المنشودة منها، منها الجيد الممتاز، ومنها الرديء الضار. ولعل عدم حرصنا على انتقاء الجيد منها، وعدم معرفتنا بالسبل المثلى للتعامل مع الرديء منها قد ساهم بشكل فعال أن ندخل في أجسامنا يومياً كميات ضئيلة من المعادن الثقيلة التي تسبب هذه المشكلات، مثل الرصاص والألمنيوم

والكادميوم وغيرها من العناصر الضارة. فجزء ضئيل منها يدخل في أجسامنا مثلاً عن طريق التوسع في تناول الأطعمة الجاهزة المعلبة، وجزء آخر يدخل عن طريق مستلزمات ومواد النظافة التي نستخدمها في بيوتنا، وكذلك عن طريق مواد ومستحضرات التجميل والتزيين، بل وربما عن طريق الأدوات والمستلزمات المدرسية، وهكذا تتراكم مع مرور الزمن، وتنمو وتتزايد هذه الكميات الضئيلة في الجسم. لكن التعامل الصحيح السليم مع كل المواد والمستحضرات ومستلزمات الحياة التي نحتاجها في حياتنا اليومية يجعل آليات الموازنة والتنقية الذاتية التي أستودعها الله في أجسادنا تقوم بدورها على خير ما يرام، وتطرح السموم خارج الجسم عن طريق البول والبراز والعرق، وترسب الرصاص الكادميوم والمعادن الضارة الأخرى في الشعر والظافر، فتحول جميع هذه العمليات دون تراكم هذه المواد والعناصر الضارة<sup>(١)</sup>.

### رفع الجنابة لا يجوز تأخيرها فما الحكمة؟

من المعروف أن الجماع يعتبر من أهم محظورات الإحرام، غير أن الإنسان قد تصيبه الجنابة عن طريق الاحتلام، ونجد أن أحكام الإسلام في الحج وفي جميع الأوقات خارج فترة الحج لا تبيح تأخير إزالة الجنابة إلى ما بعد خروج وقت الصلوات، في حين يجب أن يمتنع الحاج أو المعتمر عن إزالة الشعر أو قصه، وعن تقليم الأظافر حتى يتحلل من الإحرام؛ مما قد يجعل المرء يتطلع إلى معرفة شيء من الحكمة في عدم جواز تأخير رفع

(١) يمكن التوسع في معرفة السبل المثلى في التعامل مع مستلزمات الحياة بالرجوع إلى كتاب كيف يتجنب الطالب والمدرس الأخطار الصحية من المستلزمات المدرسية لعبد البديع زلي؛ ط١، المدينة المنورة، طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. وكتاب من أجل جمالك وصحتك سيدتي - كيف تحمي المرأة نفسها من أخطار أجهزة ومستحضرات التجميل لعبد البديع زلي. ط١، المدينة المنورة، طبعة خاصة بالمؤلف.

الجنابة. ولعل شيئاً من هذه الحكمة يظهر لنا إذا عرفنا ما المقصود بالجنابة. وهذا الأمر قد نوقش بالتفصيل في بحث يتعلق بهذا الموضوع<sup>(١)</sup>، فالجنابة هي إفرازات لمواد تُجَنَّب من داخل الجسم فتخرج وتستقر على ظاهره؛ لتبقى تحت كل شعرة، وذلك عن طريق الغدد العرقية؛ خاصة الغدد العرقية الكبيرة التي لها علاقة بالأمور الجنسية، والتي توجد في منطقة العانة وتحت الإبطين وحول حلمات الثدي. وتحتوي مادة الجنابة على نسبة محدودة من السموم التي تدخل في الجسم عن طريق الطعام أو الشراب وغيره، ونسبة أخرى من السموم التي تتولد في الجسم عن طريق الإثارات والانفعالات والنشاطات الحيوية الأخرى. وسبق أن مرَّ بنا أن الشعر والأظافر والغدد العرقية هي من أجهزة الجسم التي تساهم في إخراج نسب محددة من السموم وتطرحها خارج الجسم.

فلماذا تؤخر عملية إزالة الشعر والأظافر إلى ما بعد التحلل من الإحرام، ولا يُعجَّل بها كتعجيل إزالة الجنابة؟

لو تأملنا في آلية إزالة السموم عن طريق الشعر والأظافر لرأينا أن السموم التي تزاح من داخل الجسم وتُدفن في الشعر والأظافر لن تعود إلى داخله مرة أخرى، بل تبقى حبيسة مقيدة فيها، وسوف يتخلص الجسم من هذه السموم تماماً عند إزالة الشعر والأظافر بعد التحلل، أما السموم الدخيلة في الجسم والمتولدة فيه، والتي تزاح عنه في إفرازات الجنابة التي تستقر تحت كل شعرة فهي غير مقيدة، بل إن للجسم قدرة على إعادة امتصاص بعضها؛ خاصة إذا تركت على الجسم فترة طويلة، كما أن تركها دون إزالة لفترة طويلة يعطي للبكتريا والكائنات الحية الدقيقة

(١) الإعجاز العلمي في لفظة الجنابة وحكمها الشرعي لزللي.

الأخرى فرصة للتكاثر والنمو في هذه الإفرازات؛ لتتولد بذلك سموم جديدة، وتتبعث منها روائح كريهة. إذا فتأخير إزالة الجنابة تأتي منه أضرار ومشكلات صحية، في حين أن تأخير إزالة الشعر والأظافر لا تأتي منه مثل هذه الأضرار.

### جانب آخر من الحكمة في محظورات الإحرام:

هناك جانب آخر من الحكمة في محظورات الإحرام يظهر عندما نتأمل في تأثيراتها النفسية على الحاج والمعتمر، فهي قد تساهم في استمرارية السلوك الطيب المتعلق بسنن الفطرة، الذي اعتاد المسلم على فعله، وفي الوقت نفسه قد تعمل على تعديل السلوك الخاطئ، المتمثل في عدم القيام بهذه السنن. وقبل أن نلقي الضوء على هذا الموضوع يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن من تعود وتطبع على فعل أمر ما مضايق للنفس فهو غالباً قد مرّ بعدة مراحل.

### مراحل التطبيع:

حتى تتطبع على هذا الأمر المضايق، فالمرحلة الأولى تتمثل في المضايقة النفسية، ثم تليها مرحلة التحمل، ثم تليها مرحلة التأقلم، ثم يتطبع بعد ذلك على هذا الفعل. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل المدة الزمنية التي يمتنع فيها الحاج عن إزالة شعر العانة ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشوارب أو إحفائها كافية بأن يتطبع المرء على تركها؟

لقد أشرنا سابقاً إلى الإجابة على هذا السؤال، وذكرنا أن هذه المدة غير كافية لنمو الشعر والأظافر نمواً يسيء إلى المظهر، وهي كذلك غير كافية للتطبع بترك إزالتها، وقد نهى الرسول ﷺ عن تركها مدة طويلة لا تتعدى أكثر من أربعين يوماً. فقد روى الإمامان الترمذي والنسائي رحمهم

الله وغيرهم عن أنس قال: وقت لنا رسول الله ﷺ في حلق العانة وتقليم الأظافر وقص الشارب أربعين يوماً.

#### المحافظة على استمرارية السلوك الطيب:

كثيراً ما نرى أن من اعتاد على القيام بسنن الفطرة بصفة دورية منتظمة ومستمرة؛ فإن منعه من إزالة شعر العانة ونتف الإبط وقص شواربه وتقليم أظافره يجعله متضيقاً بعدم فعل هذه السنن، وربما ازدادت هذه المضايقة مع كل يوم يمر عليه، لكن فترة المضايقة التي قد يتعرض لها بعض الحجاج أو المعتمرين نتيجة الامتناع عن فعل سنن الفطرة غير كافية للتطبع على ترك هذه السنن. بل ربما تكون هذه الفترة حادثة ومحفزة للمرء على الاستمرارية في فعل هذا السلوك الطيب وعدم تركها.

#### تعديل السلوك الخاطئ:

قد نجد البعض قد اعتاد على عدم القيام بسنن الفطرة، فتراه يترك أظافره لتطول كثيراً، ولا يعمل على إزالة شعر عانته ونتف إبطه زمناً طويلاً جداً، حيث تطبع على هذا السلوك الخاطئ، الذي يتنافى مع ما جاء به الإسلام، وشدد على فعله الرسول ﷺ. لكن أحكام الإسلام التي ينبغي على الحاج الأخذ بها قبل أن يشرع في النية بالإحرام بالحج أو العمرة تلزمه القيام بهذه السنن، فتكون هذه الأحكام أول درس يخضع له من تعود فعل هذا السلوك الخاطئ، ثم يأتي الدرس الثاني عن طريق منعه بفعل أمر قد اعتاد عليه أصلاً، فكما هو معروف أن كل ممنوع مرغوب، فربما كان هذا المنع منبهاً له ومحفزاً ومثيراً لإحساسه النفسي على فعل هذا الشيء الممنوع. وبالرغم من أن الفترة الزمنية القاضية بالامتناع عن فعل سنن الفطرة غير كافية للتطبع على فعل هذه السنن، لكن تأثير مدرسة الحج عجيب، إذ نجد أن كثيراً من الحجاج قد غيروا سلوكهم الخاطئ الذي

اعتادوا عليه بعد أن أدوا فريضة الحج. ويعود ذلك إلى أسباب عديدة، ومن أهمها:

- جهل المسلم بسنن الفطرة، وأن ترك هذه السنن يخالف أحكام الإسلام وتعليماته، وجهله أن ترك شعر العانة دون إزالة، وعدم نتف الإبط، وترك الأظافر تطول كثيراً هو مخالفة لأمر الرسول ﷺ، وأن هذه المخالفة ربما تجرّ إلى الإثم؛ لذا نرى أن كثيراً من الحجاج يحرصون على فعل سنن الفطرة بعد أن عرفوا حقيقة هذه السنن التي كانوا يجهلونّها قبل أداء فريضة الحج.

- إن الوعد الإلهي برجوع الحاج إلى بلده بصحيفة بيضاء خالية من الذنوب والخطايا إذا لم يرفث ويفسق في حجه، تجعل الحاج حريصاً كل الحرص أن يحافظ قدر المستطاع على عدم ملء هذه الصحيفة مرة أخرى بما يسودها من الذنوب والخطايا، بل يسعى جاهداً على ملئها بما يزيد في الحسنات، ولعل مدرسة الحج التي علمته بأن قيامه بسنن الفطرة تزيد في حسناته، تكون حافظاً ومشجعاً بعد ذلك على القيام بهذه السنن بشكل دوري منتظم.

### قائمة المراجع

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (٧٣٣ - ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ط١، القاهرة، دار البيان للتراث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- ابن حنبل، الإمام أحمد (١٦٤ - ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- ابن قدامة، موفق الدين، المغني. ط١. بيروت: دار الفكر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم. ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ). سنن ابن ماجه، حققه ورقم أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن منظور الأفرقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٦٣٠ - ٧١١هـ)، لسان العرب. ط١، بيروت، دار صادر، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.
- زلي، عبد البديع حمزة، وجوه متنوعة من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: وجوه علمية في الإعجاز البلاغي واللغوي في القرآن والسنة. ط١، المدينة المنورة: طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤١٩هـ.
- زلي، عبد البديع، من أجل جمالك وصحتك سيدتي: كيف تحمي المرأة نفسها من أخطار أجهزة ومستحضرات التجميل. (سلسلة كتب التلوث البيئي في البيئات المغلقة) كتاب رقم ٢، ط١، المدينة المنورة: طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤٢٧هـ.
- زلي، عبد البديع حمزة، الإعجاز العلمي في لفظة الجنابة وحكمها الشرعي، مجلة بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد ٢٣ ص ١٦٩



٢٠٨ (١٤٢٨هـ).

- زلي، عبد البديع حمزة، مقدمة لعلوم التلوث البيئي: تلوث الهواء. ط١، المدينة المنورة: طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- زلي، عبد البديع حمزة، الإعجاز العلمي في لفظتي مريض ومُمرض. (بحث أكاديمي محكم) مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. ع ٢٦: ١٨٥ - ٢٠٦ (١٤٢٨هـ).
- زلي، عبد البديع، كيف يتجنب المدرس والطالب الأخطار الصحية من الوسائل التعليمية (سلسلة كتب التلوث البيئي في البيئات المغلقة - كتاب رقم ٣)، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- سابق، السيد. فقه السنة. طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٥ - ٣١٠)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ط٣، القاهرة: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- المباركفوري، أبو العلاء محمد عبد الرحمن (١٢٨٣ - ١٣٥٣هـ) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي. ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- منظمة الصحة العالمية، دلائل جودة مياه الشرب. المعايير الصحية ومعلومات مساعدة أخرى، الطبعة العربية عن المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
- النووي، محمد محيي الدين بن شرف، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ط١، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ١٣٤٧هـ.

